النشاط الاجتماعى للطالب المصرى

وكيف ينبغى أن يكون

تتجه التربية الحديثة إلى أن تجعل الطفل ثم الصبى ثم الشاب " يعيش " لكى يتعلم . لا أن " يتعلم " كى يعيش . وبكلمة أخرى يجب أن يتجه نشاط المدرسة إلى زيادة الاتصال بين الهيئة الاجتماعية وبين التلميذ أو الطالب . وذلك بأن يشترك فى مسائلها ويدرسها ويتفهم صعوباتها ويدرك أغراضها إلى حدّ ما بالقدر الذى يتفق مع حالته العقلية حتى إذا تخرج كان عضوا عاملا مريدا للخير والرقى فيها .

والهيئة الاجتماعية محتاجة على الدوام إلى الخدمة التى يقوم بها الفرد متطوعا بجهده متبرعا بماله . ولا يمكن أن نعوّد هذا الفرد على هذه الأخلاق ما لم نغرسها فيه منذ طفولته حتى تنمو فيه نزعة واتجاها . ولا نستطيع أن نغرسها بالإرشاد والنصيحة أى بالتعليم لأن الأخلاق عادات والعادات تحتاج إلى الممارسة والتمرن . ولذلك يجب إذا أردنا أن ينشأ أبناؤنا برة بأوطانهم يبعثون بروح اجتماعى يسمو إلى الخير ، أن نغرس فيهم عادات الخير والبر بأن نبعث فيهم ألوانا من النشاط الاجتماعى الذى يتفق وأعمارهم . وأن نجعل هذا النشاط عادة فيهم تشغل فراغهم أو بعضه .

وقد انبعث طلبتنا بالفعل فى السنين القريبة الماضية إلى ألوان من النشاط الاجتماعى كان لها أثرها المحسوس فى إيجاد بعض المنشآت . وقد يكون هذا الأثر المحسوس محدودا صغيرا . ولكن هناك أثرا آخر معنويا أكبر وأعم هو هذا التوجيه الاجتماعى الذى يتجه نحوه الطالب كما يتجه نحوه الجمهور . ذلك أن لكل مشروع دعايته . ولهذه الدعاية قيمة سيكولوجية فى نفس الداعى — والداعى هنا هو الطالب — وفى نفس الجمهور . وكثيرا ما تكون قيمة هذه الدعاية لأحد المشروعات الخيرية أكبر من قيمة المشروع نفسه . وهى على الدوام دعاية بر وخير وتعاون ونور وإصلاح .

فقبل سنوات ظهر مشروع القرش ينظمه كبار الطلبة كل عام ويجمع صغارهم القروش من أفراد الجمهور على قوارع الطرق وفى الترام والقطار وفى كل مكان آخر يجتمع فيه الجمهور . وقد أنشئت مؤسسة صناعية من المال المجموع من هذه القروش تنتج الطرابيش ويعمل فيها عدد كبير من العمال . وفى كل عام يتجدد المجهود لجمع التبرعات فتثار فى النفوس موعظة وطنية وعبرة اقتصادية هى درس عملى للطالب يمرن فيه على الخدمة الاجتماعية وهى تنبيه للجمهور على اليقظة الاقتصادية .

وقبل سنوات أيضا ظهرت حركة أخرى بين الطلبة هى تعليم الريفيين مدة العطلة الصيفية فإن هذه العطلة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر . وكثير من الطلبة يعيشون فى الريف . ويمكن الطالب بمفرده أو مع آخرين من زملائه أن ينشئوا فصلا أو فصولا لتعليم الريفيين الكبار والصغار معا . وقد سبقنا الهنود إلى هذا التعليم . وسواء أكنا قد أخذناه عنهم أم ابتكرناه فإن مما لا شك فيه أن الفائدة التى تعود على البلاد من هذه الفصول الصيفية كبيرة . وقد تمكن كثير من الطلبة من تعليم الريفيين القراءة والكتابة فى وقت قصير . وشعر المتعلمون بروح البر التى ينبعث بها الطالب المعلم فكان لهذا الشعور أثره الطيب بين فقراء الريف وبين المتيسرين منهم . وحبذا هذه الفصول تنتشر وتنتظم وتؤلف لها المؤلفات الابتدائية حتى تزكو الفكرة ويأخذ تعليم الكبار نصيبه على أيدى الطلبة مدة العطلة الصيفية إلى جنب تعليم الصغار فى المدارس الإلزامية .

ومما يتصل بهذا المجهود ما تقوم به جمعية نهضة القرى التى يتألف أعضاؤها من الطلبة فإنها أيضا تقوم بالتعليم على هذا النحو وتبعث فى الطلبة غيرة قومية تدفعهم إلى بذل المال والجهد فى نشر التعليم .

ومجهود آخر فى الخدمة الاجتماعية يجب أن نلفت اليه الأنظار: هو ما قامت به فرقة الرواد من إيجاد " محلة " صحية اجتماعية فى قسم السيدة زينب بالقاهرة . فان الطلبة قد استأجروا هناك بناء يعالجون فيه أمراض الأطفال ويعلمونهم ويقدمون لهم بعض المتع الرياضية .

هذا هو بعض النشاط الذى يقوم به طلبتنا فى الوقت الحاضر وهو من حيث النوع يعد حسنا يستحق كل اطراء، ولكنه من حيث الكم لا يعد عظيما لأنه محدود. فان "محلة الرواد" فى السيدة زينب كان يجب أن يكون لها ما يضارعها فى جميع أحياء المدن الكبيرة . كما أن حركة التعليم الريفى على أيدى الطلبة ليست منظمة أو متعددة فى جميع القرى أو معظمها . ولكن يجب ألا ننسى أننا مبتدئون فى هذه الحركات واننا نتفع بالدروس الحاضرة للعمل المثمر فى المستقبل .

ولذلك يجب أن نشجع الطلبة على الاندماج فى هذه الجمعيات والدعوة لهذه الحركات . فإننا لا نستطيع أن نكل إلى الحكومة كل إصلاح . إذ يجب على الفرد أن يقوم بقسطه متطوعا فى الاصلاح وأن يمهد العقبات الأولى ثم تتقدم الحكومة للمعاونة والمساهمة . وليس فى أوربا إصلاح إلا وكان للفرد الأسبقية على الحكومة فى بذل المجهود فيه .

وعندنا من طلبة الطب والعلوم من فى وسعهم أن يؤسسوا مستوصفات صغيرة لمعالجة الأمراض المحلية . كما أن منهم من يستطيع إيجاد المبرات المختلفة لتعليم الفقراء أو الترفيه على المحرومين . فان كل هذه الأعمال تحتاج الى المجهود الفردى الذى يستطيعه الطالب قبل أن تحتاج الى المال . ثم يجب ألا ننسى أن الطالب الذى يعمل للبر و يؤدى خدمة اجتماعية ما ينتفع بنشاطه بمثل ما ينتفع به الفقير أو المحروم الذى توجه إليه رحمة هذا البر .لأن الطالب وهو يمارس عملا خيريا تنبعث فى نفسه أشرف الاحساسات وأرق العواطف وهو جدير بأن يراقب نفسه فيصدها عن المفاسد طالما كان يمارس هذا البر . إذ لا يعقل أنه يدعو إلى الخير والشرف والرقى وأن يمارس من الأعمال ما يطالبه بالتضحية ثم فى الوقت نفسه يقع هو فى الرذائل التى تنشأ من الأنانية .لأن الأغلب بل المؤكد أنه يعود فاضلا يلتزم الشرف والاستقامة حين يخدم غيره من أبناء وطنه لأن الاحسان يخدم المحسن والمحسن إليه فى وقت واحد .

— لو طلب الى الناس أن يحذفوا اللغو وفضول القول من كلامهم لكاد السكوت فى مجلسهم يحل محل الكلام ، ولو طلب اليهم أن ينقوا مكاتبهم من تافه الكتب وعقيمها ، وألا يدخروا فيها إلا القيم العبقرى من الأسفار ، لما بقى لهم من كل ألف رف إلا رف .

شوقى

— قدر الرجل على قدر همته ، وصدقه على قدر مروءته ، وشجاعته على قدر أنفته ، وعفته على قدر غيرته .

على بن أبى طالب